نص مسرحية

موتى بلا تأريخ

تأليف

قاسم مطرود

masraheon@gmail.com

منذ زمن ليس بالقصير وأنا ابحث عن شكل جديد لبناء نص مسرحي يتوافق واستحداثات العصر الحديث، وأتمنى أن يكون نصي هذا الذي أسميته مسرح الأفق أن يجسد جزء من ذلك الشكل، لذا هناك إمكانية تقديم هذا النص بطرق كثيرة ومختلفة تتوقف على مقدرة وخيال مخرج العرض المسرحي فيمكن تقديمه ضمن

1- مسرح الحكواتي والاكتفاء ببعض قطع الإكسسوارات

2- مسرح الشارع واستخدام مكان العرض والمعمار المتوفر في الساحة أو الفناء

3- مسرح دائري باستخدام فضاء السقف

4- مسرح العلبة العادي باعتماد الديكور ألبسيط

5- مسرح اللسان بإشراك بعض المتفرجين في اللعبة

هناك الكثير من الأشكال المسرحية التي يمكن استحداثها في تقديم مثل هكذا نص

الشخصيات

الممثل

الشخصية الأولى

الشخصية الثانية

الشخصية الثالثة

جميع هذه الشخصيات يجسدها الممثل

الممثل: أنا ممثل بسيط ادعى **"يذكر اسمه الحقيقي"** حقا لي بعض التجارب التي لاقت ثناء، إلا أني وفي هذا العرض وقعت في مشكلة بين المخرج والمؤلف، وسأطلعكم عليها بشرط أن نبحث لها عن حل.

لقد كتب المؤلف نصه وفيه أكثر من شخصية، صحيح كل شخصية تتحدث بمفردها ولا علاقة

لها بالأخرى وقضيتها وزمنها ومكانها مختلف تمام الاختلاف.

ويمكنكم تسميته بنص مونودراما.

هل معكم في هذه القاعة نقاد مسرحيون**"برهة..يتفحص القاعة"**

اعتقد ذلك، لذا نترك لهم تقدير نوعية العرض.

إلا أن المخرج أصر على أن أقدم جميع هذه الشخصيات.

"بهمس"أبوح لكم بسر أنا سعيد بهذا، لأنه دليل على أهميتي وقدرتي على تجسيد الأدوار كلها

"يعود إلى ما كان عليه" سترون ذلك بعد قليل

"بهمس"وربما فكرا المخرج والمنتج بميزانية العرض ووجدا ممثل واحد أفضل لهما اقتصاديا.

لذا تعالوا نتحالف ونتفق على صنع العرض بعيدا عن الاثنين، لان المخرج أُدخل المستشفى، ارتفع لديه الضغط والسكر، والمؤلف سلم نصه ولم يحضر أي تمرين بحجة، انه لا يريد إفساد رؤية المخرج.

سأجسد الشخصيات بالاتفاق معكم، وسأعلمكم عندما أكون أنا**"يذكر اسمه الحقيقي"** أو الشخصية.

سأقفز من مربع إلى آخر وهذا دليل الخروج من الشخصية أو الدخول إليها.

هذا رأيي بعيدا عنهما كما قلت وان كان لكم رأيا آخر لصياغة اللعبة لا ضير اسمعه

"برهة..يصغي إلى الجمهور قليلا"الفكرة هي معكم اصنع العرض ويدونكم لا وجود له.

نبدأ الآن

"ينتظر رد الجمهور، وان لم يردوا يصر على سماع النتيجة حتى تصله الأصوات.

يمكنه الجلوس على مقدمة المسرح أو النزول إليهم قليلا بغية تحريكهم بسماع الرد وما أن يسمع حتى ولو صوتا واحدا، يبدأ بالتجسيد"طيب نبدأ الآن.

من أنا؟ أكيد تعرفوني لأني الآن ذكرت اسمي، ولكن قبل البدء علينا تجريب اللعبة.

مسـرحنا تجريبيا في الأصل وأنا أميل دائما للتجريب لأنه التجديد والحياة، اعتقد تفلسفت كثيرا، لنجرب اللعبة.

أنا**"يذكر اسمه"**إذا قفزت هكذا**"يقفز من مربع إلى آخر"**أكون قد دخلت في الشخصية وإذا رجعت هكذا**"يقفز"**أكون قد خرجت منها للدخول في شخصية أخرى أو العودة إلى شخصية الأصل أو التعليق على الحدث

المهم إنها سهلة وسأتمتع بها الليلة وإذا صعب عليكم الأمر سأوقف العرض، لأني وانتم الأهم في هذه اللعبة، المؤلف غير موجود والمخرج قد يكون مات في المستشفى.

صارحوني هل أطلت عليكم؟

هي ذي مشكلتنا الحديث، نتحدث، ونتحدث، ونتحدث والغاية أن نوصل لكم الحدث عبر صور الحياة

"مع نفسه" اسمع يا**"يذكر اسمه"**يكفي، قدم الشخصيات، أرجوكم ركزوا عليّ، سأقفز في باطن الشخصية، حلوة باطن الشخصية هل أعجبتكم**"يقفز إلى مربع آخر"**

الشخصية الأولى:"يتقمص"أنا لست بطلا وليس لدي شيء يذكر، حكايتي بسيطة، كل ما هنالك، إن كاتب المسرحية وهو يشاهد فيلم الأسكندر الأكبر أو صلاح الدين الأيوبي والأفلام الحربية، قرر كتابة هذه المسرحية، وعلى حد تصوراته بأنه لم يعرف اسم أي جندي من آلاف الجنود الذين قادهم القادة إلى المحرقة واللذين تناوشتهم السهام والنبال وداستهم الخيول، التاريخ لم يحفظ لنا إلا أسماء القادة وكبار الضباط..

فسأل نفسه عن هؤلاء المساكين اللذين تناولهم التاريخ على شكل أرقام، وفجأة قفزتُ إلى ذاكرته والسبب بسيط لأني اسكن في الشارع نفسه الذي ترعرع فيه المؤلف ووجدني واحدا من جنود الأسكندر أو غيره لكن ميتتي بأسلحة متطورة.

في الحقيقة لم تكن علاقتي تذكر معه وكل الذي كان بيننا مجرد سلام إذا صادفته أقول:

-:سلام

ويرد علي التحية نفسها

-:سلام

كان مؤدبا لا علاقة له بما يحدث في منطقتنا، لا نعرف متى يأتي ولا إلى أين يذهب، وأنا مثلكم

منـــدهش، كيـــف أخـــذني أول شخصـــية مـــن شخصيات مسرحيته هذه.

يبدو انـه كـان يراقبنـي كمـا يراقـب غيـري، هـذه طبيعة الكتاب، دعونا من المؤلف.

مـت فـي أحـدى المعـارك التـي نسـيت عـددها، والمحزن إنها لم تكن اشـد المعـارك، قاتلـت العـدو كثيـرا، ولا اعـرف السـبب، وأطلقـت الرصـاص فـي الجو، خوفـا مـن المـوت طبعـا، أو بحثـا عـن العـدو الذي يتربص لي،لكن مـوتي لـم يكـن بطوليـا، انـه مـوت عـادي، وصـادف يـوم التحـاقي للخدمـة بعـد إجازتي التي أتمتع بها كل شـهر، ربمـا تعلمـون أو لا، بأننا نمنح خمسة أيام أحيانا بعد كل شـهر مـن الجفاف الإنساني وغياب الحيـاة والوحشـية التـي تقاسـمنا الفراش

"بحزن"قضيت إجازتي كلها ممتـد علـى الفـراش مريضا وصوت أنيني يسمعه الجيران، حتى طفلي الوحيد لم أره جيدا، لم ألاعبه أو أشـمه.

ولأنني لم اغب يوما من الخدمة العسكرية، ليس لأننـي وطنـي، بـل أخـاف، اجـل أخـاف، يمكـنكم القول باني**"بهمس"**

-:جبان

اجـل أنـا هكـذا، أخـاف، ارتعـش مـن القائـد، إذا سمعت بأنه سيمر عبر سريتنا فأنني ارتجف، أما إذا قيـل لـي يريـدك للوقـوف أمامـه، أفضـل إن لا أحـدثكم عـن ذلـك، جبـان، حتـى زوجتـي صـارت تسخر منـي وتعنّفنـي كثيـرا وأنـا صـامت دائمـا لا املك أي رد،ماذا افعل؟

أخاف اجل اشعر إن الخوف يجري بدمي

"فترة صمت قصيرة"

لم أخبركم بعد، كيف مت؟

"برهة.وبحسرة"وأنا احمل حقيبتي التـي فيهـا قطعـة خبـز وبعـض الخضـراوات التـي لفتهـا لـي زوجتي في بادئ الأمر بجريدة فصرخت بها

-:هل تريدين إعدامي

وأخيرا وجدتْ كيسا ورقيا ووضعتْ الخبز فيه

"برهـــة"حاولــت منعــي مــن الالتحــاق لأنهــا شاهدتني وأنا اجر أقدامي بصعوبة وشـبه ميـت، ولكنني قررت الالتحاق، واعتقد أنكم تعرفون لماذا.

لـم اسـتمع إلـي نصـائحها أو قـل نبوءتهـا لأننـي أخاف، صدقوني أنا لا اكذب عليكم عشـت عمـري كله خائف

وطالما إني مت فلا عيب إن صرخت وقلت الآن:

-:كنت جبانا

حتى في إجازتي وأنا برفقة زوجتي وولدي وان صادفت اوشاهدت في مدينتي أو في شارعنا رتبة عسكرية ارتبك كثيرا، وغالبا ما أؤدي لهم التحية

-:**"بهمس"أخاف.**

"فترة صمت قصيرة"

يومها تعرضت وحدتنا إلى القصف الشديد، وأنا متجه إلى وحدتي لإعلامهم بقدومي كي لا يضعون اسمي مع المتأخرين وهذا يعني موتي في موضعي دون حكم، وقبل وصولي قلم الوحدة

الممثل: "يقفز إلى مربع آخر"قلم الوحدة، اجل هكذا يصفونه المكتب في الجيش.

بالمناسبة أنا استفدت من خدمتي في العسكرية كثيرا، لأني ممثل واهتم بالمفردات فقد سمعت مفردات هناك لم اسمعها خارج الخدمة، مثلا رحبة السيارات أراه أكثر شاعرية من موقف السيارات، المهم صاحبنا وصل أين إلى قلم الوحدة**"يقفز إلى مربع آخر"**

الشخصية الأولى:كل الذي أتذكره، إنني شاهدت ضابط وحدتنا وقد ابتسم لي وهو واقف أمام قلم الوحدة، في هذه الأثناء تسارعت القذائف على سريتنا.

ثم اختفيت عن الوجود، ولكن المهم في الأمر كله بان ضابط وحدتنا ابتسم وعرف باني وصلت بموعدي دون تأخير

"برهة..يتقدم إلى الجمهور قليلا"جبان.

الممثل:"يقفز إلى مربع آخر"مسكين هذا الرجل، هل تصدقونه؟

أنا أصدقه، مثله كثيرون، يوم كنت في الجيش كما حدثتكم كان معنا رئيس عرفاء، قال لي ذات مرة:

-:الضابط ليس من البشر العاديين انه كائن آخر ربما يكون قد نزل من السماء أو من عالم نجهله

الممثل:كان يقدسهم أو يخافهم ولكن بطريقة أخرى، لأكثر من عشرين يوم لم يخلع قيافته العسكرية مخافة أن يصادفه ضابط ما، وهوليس بكامل هيئته العسكرية**"برهة"**مساكين

"فترة صمت قصيرة"

إنهم شخصيات لا تاريخ لها، يخافون من وسادة نومهم، ولا يعرفون شيئا عن الأحلام السعيدة، يمكن تسمية حياتهم بالحياة الكارثية، بل إذا جلست مع احدهم فيمكنك بالحال إطلاق عليه كلماتك

-:"بصوت آخر"أنت ميت يا هذا

عرفت هذه الحقيقة أو لم تعرف

حياتك لم تعشها كما يجب

ثمة خطأ في بنائك

"يعود إلى ما كان عليه"لكني أتعاطف معهم ولهذا وافقت على تجسيد شخصياتهم التي لا أحبها، ما رأيكم ننتقل إلى الشخصية الثانية

"يسال الجمهور" نبدأ**"يصغي، لكنه لا يسمع شيئا"**

نبدأ إذن، انظروا سأقفز هناك لان الشخصية الثانية تنتظرني على ذلك المربع**"يقفز إلى المربع الآخر ويبدأ بتجسيد الشخصية"**

الشخصية الثانية: تسلسلي بالعائلة هو الرابع إلا أني الوحيد الذي أكمل دراسته، ولان أمي وأبي كانا يحباني حبا لا مثيل له، بل يمكنني القول:

حب له خصوصيته دون أخوتي الآخرين، لذا قرر أبي إرسالي إلى يوغسلافيا لإكمال دراستي الجامعية هربا من الموت الذي كان يخطف الشباب.

ولا أريد الإطالة عليكم وصلت إلى يوغسلافيا التي تجولت في شوارعها التي أدهشتني في بادئ الأمر.

وبعد أسبوع قررت العودة إلى الوطن

"برهة" الوطن بالنسبة إلي هو أهلي، وأصدقائي، والشوارع، والأزقة التي لي فيها ذكريات.

وقراري لا علاقة له بالشعارات والوطنيات الزائفة.

شعرت بالغربة والخوف وتشخص أمامي المستحيل في قضاء أيامي هناك وحيدا دون الأصدقاء وحكاوي الأزقة والوقوف أمام ساحات كرة القدم لمتابعة المباريات التي تجري في مدينتنا، لذا حجزت أول طائرة وعدت.

طبعا لم يصدق أبي المشهد وهو يراني ادفع باب الدار داخلا مع حقائبي ذاتها دون أي تغير.

ويبدو انه عرف حجم خوفي وكآبتي، لذا لم يسألني كثيرا وقد اكتفى ببعض الجمل وخضع مثلي إلى الأمر الواقع، لكنه كان حزينا وكأنه عرف المصير الذي سيلفني.

ذهبت إلى معهد الصحة ودرست فيه سنتين وكانت من أتعس السنوات، لأنهم لاحقوني كثيرا بسبب رحلتي القصيرة.

يضحكون كثيرا عندما أقول لهم:

-:شعرت بالغربة هناك

احدهم قال لي

-:لأنك غبي

لا اخفي عليكم حتى بعد موتي لم اعرف قصده ولماذا أنا غبي**"برهة"**

صرت زبونا دائما لهم وكلما يستدعوني أحضّر الردود نفسها حتى حفظتها عن ظهر قلب.

"فترة صمت قصيرة"

أنهيت السنتين بخيبة، وحاولت مرارا التعرف على فتاة لكني أفشل دائما.

يبدو إن الحكمة تقول

-:بأنك ستموت وليس لديك زوجة وذرية"برهة"

وما أن انتهيت من المعهد وقبل استلام النتائج أذيع بيان في التلفاز والراديو يقول:

على جميع خرجي هذا العام، أي عام تخرجي الالتحاق بالخدمة العسكرية خلال 48 ساعة.

"فترة صمت قصيرة"

هذه قصتي.

أتصور انتهت.

هل تودون سماع المتبقي**"برهة "**

قلت لكم سابقا لا غرابة بقصتي وليس فيها بطولة ترفع من عزيمتكم كما يحدثونكم عن أبطال الحروب العظام.

أنا واحد ضمن الأعداد إذا وُجد من يُحصي أعدادنا، لا اعرف لماذا تناولني المؤلف.

هـذا مـا يعرفـه عنـي، والحقيقـة هنـاك الكثيـر لا يعرفه هو إلا انه اخذ الجزء الذي يعنيـه وقـد يكـون من حقه.

لأكمل ما أراد إيصاله لكـم المؤلـف لأنـه دوّن هـذه السطور لا اكثر

"يعود إلى ما كان عليه من أداء"

التحقت طبعـا قبـل أن تنتهـي أل 48 سـاعة إلـى مركـز التـدريب وهـل أسـتطيع التـأخير والمـوت شاخص على أعمدة الكهرباء .

كنـت أتصـور بـأنهم سـيخرجونني مـن الخدمـة بسـبب ضـعف بصـري وربمـا يركـزون علـى حجـم زجاجات نظاراتي التي دونها لا أشاهد شيئا ولكن لم ينتبه إليها احد أو يسلونني عن شـيء.

وبسرعة غير معهودة استلمت بدلتي العسـكرية وبسطالي وبيريتي المضحكة التـي كانـت تشـبه الصحون الطائرة، وكـان يجـب علـيّ وضعها علـى رأسـي

"برهة وبحسرة"حشـرونا كـالخراف فـي باصـات كبيرة وضربونا بالعصـي كـي نسـرع، وصـرنا كأننـا

فــي علــب الســردين نتــوق إلــى شــم الهــواء والمحظوظ منا من كان رأسه قرب الشباك.

لم يعلمونا إلى أين ستكون وجهتنا، ولم نجرأ على طرح السؤال.

ولكننا عرفنا الاتجاه انه إلى المجهول وما كان يطمئننا ويبعد الأفكار المخيفة عنا هو الباص المدني الذي يقلنا.

توقعنا نقلتنا ستكون إلى معسكر آخر بسبب كثرة الجنود المستجدين أمثالي، ولكن الحلم تبدد بعد وصولنا معسكر كبير محشو بعشرات السيارات العسكرية.

ولم نسمع أو نفهم غير كلمتين مع الهراوات

-:انزل

-:اصعد

ولكن هذه المرة عرفنا النزول من الباصات المدنية ومغادرة هذه الحياة إلى الأبد والصعود إلى السيارات العسكرية لدخول عالم الوحشة والدماء.

ولم يكن حالنا في السيارات العسكرية مختلفا عما كان عليه في السيارات السابقة إن لم يكن أسوء بكثير

"برهة..بحزن"أيام لا أتمناها حتى لعدوي

"يواصل"خمسة أيام بلياليها والسيارات تنقلنا إلى المجهول المخيف، وأخيرا توقفت السيارات ولم نسمع هذه المرة غير كلمة واحدة

-:انزل

مع الهراوات لأنها ملتصقة بأيديهم

"برهة..يتخيل المشهد"حقا كانت ظلمة لا يمكنك مشاهدة حتى أصابع يديك، ووسط الظلام نسمع الأصوات والضربات من جميع الاتجاهات

-:اجلس

-:مكانك

-:لا تتحرك يا غبي

-:لا تتحرك يا حيوان

-:مكانك أبن.........

وجلسنا نحتضن الخوف والقلق والجهل.

وبعد أن تـراصّ الجنـود كتفـا بكتـف سـمعنا صـوتا منفـردا يتحـدث بهـدوء، وبعـد الإصـغاء تبـين لـي اللمعان السـاطع علـى كتفـه، وعرفـت انـه ضـابط كبير.

هـل تصـدقون بـاني دخلـت الجـيش ومـت وأنـا لا اعرف الرتب العسكرية

"برهة"بدء صوته يهدر ويهدد**"يقلد صوته"**

-:اسـمعوا أولادي انـتم جنـود جـدد، لـذا علـيكم الانتبـاه جيـدا، لان الخطـأ الواحـد يكلفـك حياتكم

صمت وغير صوته، صار اكثر تحذيريا

-:على يمينكم العدو

-:على يساركم النهر

-:خلفكم لواء الإعدامات، وانتم تعلمـون مهمـتهم، إذا رجع أحدكم فانه سيعدم دون محاكمة

-:خلفـي باتجـاه نظـركم حقـول الألغـام، ولـيس أمـامكم خيـار سـوى تنفيـذ المهمـة، علـيكم فتح ثغرة في جبهة العدو كي نجهز عليه

يعني دخول الجيش المدرب

-:لم أقوى أنا أو غيري على طرح أي سؤال

نحن لم نتدرب على أي شيء ولا نحسن استخدام السلاح لكنه سارع وقال:

-:بعد قليل ستستلمون البنادق وعند الفجر تتحركون على الهدف أريد مشاهدة الثغرة قبل طلوع الصباح،صار واضحا

وما أن أكمل الضابط أوامره، وزعت علينا البنادق التي شاهدناها على التلفاز.

ولم يمض إلا وقت قصير، لا قيمة له سارعنا بالركض كالمجانين بالاتجاه الذي رسم لنا.

أطلقت الرصاصات في الهواء من قبل بعض الجنود الذين جربوا أو استعملوا السلاح في الصيد، إلا أني لم أطلق رصاصة واحدة وبين الزحمة والركض تعثرت وسقطت نظاراتي التي دونها صرت كالأعمى لا اعرف أي اتجاه ويبدو أني رجعت إلى الخلف دون أن اعلم.

وبعد اقل من خمسة دقائق نثرت أجسادنا كحبات الرمل.

الذي اعرفه فقط بان أصوات الطلقات والتفجيرات وصراخ الجنود ملأ الكون، وشعرت حينها بان السماء ستبكي دما على استغاثاتنا.

وكل الذي بقي في ذاكرتي هو دخول رصاصة في ساقي اليمنى، وما أن سقطت على الأرض واستدرت إلى الخلف.

وجدت عددا من جنودنا برفقة ضابط يصرخ بي،وأنا أشاهدهم كالأشباح

صرخ بي الضابط قائلا:

-:انهض يا متخاذل أنت جبان

-:سيدي ....

لم يسمع مني شيئا

-:ولا كلمة حكم عليك بالإعدام

-:سيدي نظاراتي

-:انتهى أمرك

تصوروني هاربا من المعركة أو متخاذلا كما يصفوننا، لذا افرغوا بنادقهم في جسدي المسكين.

مت في أول يوم خدمة في الجيش وأول بدلة وأول بسطال وأول بندقية صامتة.

تـرى هـل فـي قصـتي شــيء غريـب أو يسـتحق الاهتمام.

أنا معكـم هنـا الآلاف كـانوا معـي مـن المسـاكين العـزل لـم يتنـاولهم احـد والكثيـر مـنهم ضـاعت أشلائهم حتى مؤلفنا لم يعرف عنهم شيئا.

واعتقد مـا أثـار المؤلـف لـيس قصـتي وإنمـا قصـة أمي المرتبطة بموتي.

ولا اعرف لماذا لم يتناولها هي بدلا عني.

ولكنـي سـأخرج عـن الـنص واسـرد لكـم حكايتهـا باختصـــــار، خشـــــية أن يـــــدخل علينـــــا احدهم**"برهة"**حكاية أمي يا سادة كما أخبرتنـي بها، كانت المسكينة العظيمة تجلـس قـرب قبـري كـل يـوم، تبكـي وتنـوح وتنـدب خسـرانها بفقـدان الولـد الـذي أحبـت، لا تأكـل ولا تشـرب وأنيسـها الوحيـد هـو التـدخين الـذي تجهـزه يوميـا قبـل حضورها المقبرة

"بحزن"وفي مساء اليوم الأربعين لفظت أنفاسها على قبري بعد أن جفت آخر دمعـة واختفـت فـي أعماقها صرختها الاحتجاجية الأخيرة.

"بهمـس" الأجـدر بـالمؤلف أن يتنـاول شخصـية أمي وحدها لان موتها لا مثيل له.

"يقفز الممثل إلى مربع آخر"يقينا تعرفـون مـن أنا، حاولت إيقافه من التحدث اكثر عن أمه، كي لا تخـتلط علـيكم الأوراق وتتـداخل الشخصـيات، ولا تنســوا مــا قلتــه لكــم بــان مســرحيتنا غرائبيــة وتجريبية، لهذا فنحن نجرب بالقدر المتاح لنا

"يقفز الممثل إلى مربع التجسيد"

الشخصية الثالثة:يمكنني القول**:**باني صديق المؤلـف اعرفه ويعرفني جيدا، أزاد فرحا ولم يصـدّقني يـوم قلت له:

-:بأننـا تحـدثنا عنـك بطيـب فـي المعتقـل ونحـن محكومون بالإعدام

لم يصدق للوهلة الأولى بان مجموعـة مسـاجين بتهم سـياسية ودينية وليس لهم غد يتحدثون عن مؤلف مسرحي اسمه حاضر فـي الصحف يوميـا، من حقـه أن يتسـاءل عـن الوقـت والمـزاج لأنـاس يقترب الموت منهم في كل دقيقة ويجدون متسع للحديث عن الآخرين.

الحقيقة ما أن يعلمونك بيـوم موتـك يصـبح كـل مـا حولك عبث ولا قيمة له وتتغير لديك قيمة الأشـياء وتندم على الكثيـر مـن الأفعـال التـي أديتهـا فـي

مراحل سابقة لأنها فقدت أهميتها وصدق وجودها في حياة أصلها أكذوبة.

لكن اقسم لكم بأنني وصديق آخر كنا نتحدث عن مؤلف هذه المسرحية وحبل المشنقة يشد عقدته اكثر وأكثر.

ربما تسالون لماذا حكم علي بالإعدام، وأتمنى أن اعرف الجواب كي أبلغكم إياه ولا اعرف شيء سوى المحاكمة التي أجريت لي مع اكثر من عشرين سجين في قفص واحد وما حفظت منها سوى شتائم محاميّ الخاص الذي طالب القاضي بالإسراع بإعدامي بعد أن كان يصرخ

-:أطالب بإعدام هذا المعتوه ابن.........

تناول أمي وأختي ولم يبق كلمة نابية إلا ونعتني بها، وضمن هذا الضجيج سمعت الحكم بجميع من كان بالقفص، هو الإعدام شنقا، اكذب عليكم إن قلت لم اخف أو ارتجف، وربما لم يحدث من هذا شيء لأني لم أكن أنا حينها غادرت نفسي وبقي ذلك المسكين المحكوم بالإعدام الحائر الذي لا يعرف أي تبرير لوجوده في حياة اسمها مهزلة مسكين كنت ارثي لحاله

"برهة"كل يوم ينقضي نشعر إن قبضة الحياة تتراخى تاركة أولادها يتدحرجون على سفوح الموت.

وفي يوم لا مثيل له في أيـام السـنة وقبـل طلـوع الشـمس، دخـل علينـا كبيـر السـجانين وهـو أقساهم وأقبحهم، ابتلعنا ألسنتنا لان الموت جاء، ولكنه قال:

-:انهضوا يا أبناء.............

"يصـمت ويحـرك يديـه بمعنـى الكلمـات النابية"ثم يواصل

-:انـتم محظوظـون، صـدر قـرار بإعفـائكم مـن الإعـدام وسـتذهبون إلـى الجـيش لخدمـة الوطن.

حينها شعرت أن راسـي أصـبح كمحطـة للقطـارات دون معرفـة القطـار القـادم أو المنطلـق تـوا، كـل الذي كـان يـدور فـي راسـي هـو ضـجيج المحطـة وتقاطع السكك وحيرة المسافرين

"برهة"كنت فرحا وحزينا ولا اعـرف لمـاذا، شـعور مضطرب تتداخل الصور والمعاني واختفت النسـبة بين الموت والحياة.

وما أن أخرجونا من قبو الموت وشاهدنا ضوء النهار الذي لم نره منذ قرون هكذا كنت أتصـور الأشـياء، حينها توقفت جميع القطارات.

ولأول مرة منذ زمن لا اعرف مقداره رُسمت علـى وجهي ابتسـامة مكبوتة**"برهة"**صفونا صـفا واحـدا وقال السجان القبيح

-:هذه رحمة لكم من الرئيس.

والرحمة الأخرى هي أسبوعا كاملا تقضونه بـين أهلكم

فــي الرحمــة الثانيــة كانــت الابتســامة اصــدق واعرض، وأكمل السجان تعليماته

-:وبعــد انتهــاء الأســبوع تلتحقــون بوحــداتكم العسكرية

"وهو يشير إلى مجموعة أكيـاس عسـكرية على الأرض"

-:وفي هذه الأكياس تجدون جميع تجهيزاتكم.

الكثير منا لم يدخل العسكرية ولا يعـرف مـا يعنـي بوحداتنا العسكرية فانـا مـثلا طالـب فـي الجامعـة ولم أتخرج منها بعد، لكنه أكمل وصاياه

-:ومـن لـم يلتحـق بعـد الأسـبوع، سـينفذ حكـم الإعدام به أمام منزله

" وبصوت عال صرخ"

-:مفهوم

وبصوت واحد ودون تفكير

-:مفهوم

سارعنا لاستلام أكياسنا العسكرية ومعه لكل منا ظرف اسمر مغلق فيه امرنا الإداري الذي علينا تسليمه إلى وحدتنا العسكرية، أمرونا بالصعود سريعا إلى الباص العسكري، ووقف رجل على الباب الرئيس وهو الآخر خطب بنا خطبة عصماء

-:سننقلكم إلى محطة الباصات ومن هناك تتجهون إلى بيوتكم

صمت قليلا ثم شدد على كلماته وبصوت عال

-:إذا تفوه أحدكم بشيء، وقال أين كان، أو ماذا جرى إليه، سأقطع لسانه، واضعه بين يده.

وما أن وصلنا محطة الباصات شعرت إن قلبي يريد أن يفر مني ويسبقني بالمشي على الأرض.

لم اصدق وأنا انتقل من الجحيم إلى مشاهدة الحياة ثانية، سائقي سيارات الأجرة والباعة على الأرصفة النساء والأطفال والرجال والشباب والفتيات الجميلات وطالبات الجامعة إنها الحياة،

في هذا الوقت فقط ضحكت من الأعماق ولكني خفت لان الفرح الكثير خطر ايضا.

وقتها قفزت إلى الوجود أمي وأبي الذي أحب وأختي المريضة بالقلب، كيف سيواجهون دخولي عليهم بعد أن فقدوا الأمل

"برهة"وحدث ما كنت أتوقعه أغمي على أمي التي سقطت على يدها وانكسرت وأختي التي نقلوها المستشفى بعد أن ضاق تنفسها.

قلت لكم إن للفرح خطورة كخطورة الأحزان، ولكن الأحداث سارت بشكل طبيعي وسألوني أصعب سؤال هو:

-:ما الذي حدث لك، أو حدثنا عن رحلتك

لكني أو جزت لهم حكايتي كما فعل الشيخ الذي سرد حكاية يوسف بقوله:

-:ولد ضاع ثم وجدوه أهله في نهاية الأمر

قلت لهم:

-: حكم علي بالإعدام والغي القرار، هذه حكايتي وهذا الذي اعرفه

أمي قالت:

-: هذه بسبب دعواتي المتكررة ليل نهار

وأبي قال

-: كنت على يقين تام باني أراك قبل موتي

وأختي قالت:

-: هذه بسبب النذور التي نذرتها

"برهة"كانوا سعداء إلا مؤلفنـا، اجـل مؤلـف هـذه المسرحية الذي زارني بعد يوم واحد من خروجي من حلبة الموت.

لهـذا قلـت لكـم بـاني اعرفـه ويعرفنـي، وعنـدما سردت له قصتي لم يفرح أو يبتسم بل كان حزينا وتجهم وجهه وقال:

-:هناك سر بالموضوع سيتضح حتما

لا اخفي عليكم أخافني كثيرا لأنـي أحبـه واحتـرم وجهة نظره، قلت له:

-:أرجـوك فسـر لـي، مـاذا تعني؟أخفتنـي يـا صديقي

-:ليس من طبيعتهم الرحمة

-:ربما..........

قاطعني

-:ليس هناك دليل واحد على وجود رأفة في قلوبهم

ثم أكمل محاولا طمأنتي

-:أتمنى أن أكون على خطا وتكون محظوظا بالانفلات من حبل مشنقتهم

-: ها أنا معك بلحمي ودمي علينا أن نصدّق ما حدث، انه واقع ملموس

-:أتمنى أن أتفاءل مثلك

"فترة صمت قصيرة"

كان على حق، وكأنه يعلم بأنهم سبقونا بإرسال أوامرهم إلى وحداتنا وكيفية التعامل معنا.

أمروهم باستبدال الحمير التي يفجرون بها الألغام بالسجناء الجدد الممنوحين الحرية الجديدة.

وما أن سلمت كتابي إلى وحدتي العسكرية المزعومة أمروني بالذهاب إلى المتقدم أي في مواجهة العدو.

وفي ليل مظلم قطعت المسافة وحدي بين الخائفين من الموت والمواجهين له وخلال هذه

الفترة المرهقة وأنا أجر خطاي بصعوبة وحقيبتي العسكرية على ظهري قفز إلى ذهني صديقي المتشائم الذي لم يطمئن لحريتي المؤقتة.

ولكني حتى هذه اللحظات لم أتصور أو اعرف شيئا عن مكر القادة السياسيين والعسكر وكيفية التفكير باستحداث وقود للمعركة، إلا أني توجست خوفا وريبة من موضوع مواجهة العدو وفي اليوم الأول من وصولي إليهم.

أقنعت نفسي باني أقاتل من اجل الوطن، أفضل بكثير من الموت في الدهاليز المنسية.

وما أن وصلت آمر الفوج وسلمته أمري الإداري، نظر إلي طويلا وكأنه يقول أتيت بنفسك أيها الكبش، امرني قائلا:

-:استرح قليلا وبعد ساعتين لديك واجب

-:حاضر سيدي

لم أكن اعلم بان الواجب هو ذبح الشاة.

انتهت الساعتين وكان الواجب هو صعود التلّة التي تفصل بيننا وبين العدو ومعرفة عددهم ومعداتهم هكذا قالوا لي.

لكن الكبش لم يشك بشيء ولم يعلم بان حقول الألغام تنتظره.

ولم أتجاوز حافة ألتلّه إلا وقد علق سلك بقدمي، شعرت حينها إن حبل المشنقة كان ارحم.

وفي جزء من الثانية مرت علي جميع الوجوه التي عرفتها الأهل والأصدقاء والأحبة، واقسم لكم كان مؤلفنا حاضرا في تلك الشدة لأنه لم يصدقهم وكان يعرف انه يتحدث مع ذبيحة.

انفجر اللغم وارتفع رأسي إلى أعلى ألتلّة حتى تدحرج في الجهة الثانية ساقطا في أحضان العدو وأشلاء جسدي تناثرت على ألتلّة الملغومة.

هي ذي يا سادتي حكايتي، جسدي في وطني الذي تفنن في موتي وراسي عند العدو الذي أطلق عليّ الرصاص دون أن يعرف حكاية راس الشاة المسكين

"برهة..بحزن"

بقيت في العراء حتى تفسخت، لم يجرؤ احد على دفن الجسد أو لملمته أما راسي المسكين فقد رفض العدو رفضا قاطعا دفنه وبقي طعاما للطيور الجارحة.

نسيت أن أقول لكم باني اسكن في مدينة لا تذكرها الجغرافية، وفي منطقة يحدها الوحل من جميع الاتجاهات ولا تصلها أية وسيلة اتصال أو نقل.

ولكنها لم تكن بعيدة عن قتلة العصر الحديث

"يقفز الممثل إلى مربع آخر.وبحسرة"

أعجبتني كلمة الكبش والشاة تلك الضحية التي بدأت منذ آلاف السنين وبطرق مختلفة.

إلا أني لم اسمع حكاية كحكاية صديق مؤلفنا

"فترة صمت قصيرة..يجلس على مقدمة خشبة المسرح ويغير طريقة إيقاعه بالتجسيد"

حكاياتنا لم تنته بعد، إنها كثيرة جدا، بعدد آلاف الضحايا التي دفعتهم قرارات حكام وقادة عطشى للدم.

يمكنني وهذه فرصتي أن أجسد لكم عددا آخر من هؤلاء المساكين، إلا أننا نكتفي بهذا القدر كي نمنحكم الفرصة باستذكار أصدقائكم وأقربائكم وجميع من تعرفونه عن قرب أو بعد.

ويمكـــنكم أداء التحيـــة بالطريقـــة التـــي تجـــدونها كافيـــة لأنـــاس غـــادروا الحيـــاة دون ضـــجة أو جلبـــة سوى بكاء الأهل ويتم الأبناء.

ونتـــرك العـــدد الآخـــر مـــن الوقـــائع الفجائعيـــة إلـــى سهرة يوم غد، التي سنختار فيها عـــددا آخـــر مـــن ضحايا حياة قاسية، موتى بلا تاريخ

تمت